

نعمة وسلام لكم من مدينة باريس الفرنسية حيث أنا موجود لتسجيل برامج تلفزيوني للقناة الفضائية المسيحية سات 7 وأشكر الله ابانا على هذه الفرصة لمشاركة حبر الانجيل مع إخوتنا العرب من المغرب الى العراق مع دعائنا الى الله أبينا أن كثيرين يسمعون بشارة الرب ويعرفون ما في دعوته لهم من رجاء وسلام وغفران وحياة أبدية. أمين. وأما عظمتنا اليوم فهي من إنجيل يوحنا، الاصحاح طناش والايات 37 الى 43. اليكم القراءة باسم ربنا يسوع المسيح:

وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هَذَا عَدَدُهَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ: يَا رَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبْرَنَا وَلِمَنْ اسْتَعْلَنْتَ ذِرَاعَ الرَّبِّ؟ لِهَذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لِأَنَّ إِشْعِيَاءَ قَالَ أَيْضًا: قَدْ أَعْمَى عُيُونُهُمْ وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ. قَالَ إِشْعِيَاءُ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ. وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّوسَاءِ أَيْضًا غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ لِئَلَّا يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ لِأَنََّّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ. فَتَأَدَى يَسُوعُ: الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي.

هذه كلم الله

هذا النص هو صعب للفهم في أول قراءة. كيف الله المحب أعمى عُيُونَهُمْ وَقَسَى قُلُوبَهُمْ لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُوا فَيَشْفِيَهُمْ؟ ممكن نقول أن حالتهم هي نتيجة قسوة قلوبهم لانهم لَمْ يُؤْمِنُوا به رغم كل ما صنعه الرب من آيَاتٍ أَمَامَهُمْ. بالطبع، الانسان يسمع كلمة الحق وعوضا ما يتواضع ويقبلها في حياته يزيد يتكبر ويفتخر بدينه وعقيدته وأصله وبلاده. في كل زمان ومكان، نجبر نفس الأسلوب ونفس الموقف تجاه كلمة الله الذي كان عند شعب إسرائيل قديما. والى يوم موقف تمرّد ورياء. كما سأل النبي إشعيا من آمن بكلام الله ولمن ظهرت يد الرب، هكذا سأل يوحنا والسؤال هو لكل إنسان الى اليوم. وهل هناك من يصدق ما يقوله الله ويعترف بقوة الله؟ كثيرون يدعون الصلاح، أما الأمين فمن يعثر عليه؟

أعمال يسوع وتعاليمه قسّت الدينيين وكل الشعب. فصلوا الدين والمعتقدات الشعبية على كلمة الله لخلصهم. والانسان يعيش في وسط مجتمع لا يعرف الرحمة وهو يخاف من الحق وهم يراقبوك في كل شي ويتدخلوا في كل شي. ولما الرب يسوع يخاطب الناس فهو يبين عيوبهم ويريد أنهم يأتون اليه للتوبة والغفران. فهل كلهم يسمعون ويؤمنون؟ بالطبع لا. برفضهم لنعمة الله فهم يزيدوا في ثقل الخطية اللي عليهم. الآيات السابقة تعلمنا أن يسوع أخبر تلاميذه أن ساعة اقتربت ليتمجد. وقال أن من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية. ثم قال أن الحياة هي معه وبه وإن كان أحد يخدمه يكرمه الأب.

يسوع كان يعرف أن ساعته للصلب اقتربت. لكنه ما طلب الأب أن ينجيه من تلك الساعة لانه لأجلها جاء. فقال: أيها الأب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء يقول: مجدت وأمجد أيضا. فقال بعض الحاضرين ممن سمعوا الصوت: هذا صوت رعد؛ ولكن غيرهم قالوا: حدثه ملاك. فأجاب يسوع: لم يكن هذا الصوت لأجلي بل لأجلكم. الآن وقت الحكم على هذا العالم، الآن يطرد سيد هذا العالم خارجا وحين أرتفع عن الأرض أجدب إلي الجميع. قال هذا مشيرا إلى الميتة التي سيموتها. وقال هذا ليظهر أنه حطم أعمال إبليس. ثم قال لهم الرب: النور باق معكم وقتا قصيرا، فواصلوا سيركم مادام النور يشرق عليكم لئلا يطبق عليكم الظلام، فإن الذي يمشي في الظلام لا يعلم أين يذهب، آمنوا بالنور مادام النور معكم فتصيروا أبناء النور.

وهم استهزأوا به وما كانوا مهتمين بكلام الله لكنهم رفضوه **فذهب وأخفى نفسه عنهم**. الرب يسوع المسيح ظهر في الوقت المعين من الله له والشعب لم يدركه ولم يعرفه. ولا كانوا يصدقوا كلمة الله بأنبيائه القديسين. بسبب الخطيئة كل إنسان يتيه في طرق مختلفة يمشي ويجي ويدور دون هدف ولا يعرف أين تديه الطريق اللي يسير فيها مع الناس وما يقدر يخرج من صفهم خوفا من تهديدهم وانتقامهم والطرده. ومن كثرة العيش في الكذب أصبح الانسان يظن أنه في طريق الحق والصواب. هذا يزيد في عمية الروحي وقسوة قلبه. قال لهم يوما: بمن أشبه هذا الجيل؟ يشبه أولاداً جالسين في الأسواق ينادون إلى أصحابهم ويقولون: زمرنا لكم فلم ترقصوا؛ نحنا لكم فلم تبكوا.

يسوع بشرهم وهم لم يقبلوه. **فَذَهَبَ وَأَخْفَى نَفْسَهُ عَنْهُمْ.** هذه الحقيقة هي صعبة. عندما يختبئ الله، الانسان يفقد الاتجاه الصحيح وهدف الحياة وتوازن حياته ويصير في داخله فراغ عميق وهو يملئه بالدين والغرور. لَيْسَ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ أَوْ يَنْتَبِهُ لِيَتَمَسَّكَ بِهِ لِأَنَّ الرَّبَّ حَجَبَ وَجْهَهُ عَنَّا وَلَا شَأْنَ بِسَبَبِ مَعْصِيَانَا. أما الله فلا يختبئ الى الابد. فهو ينتظر التوبة والايامن منا. مثل الاب الذي لبي طلب ابنه وأعطاه ميراثه قبل الوقت وتركه يذهب مهما إهانة الولد لأبيه. بعدما خسر كل أمواله وجد نفسه في الوحل فدخل في نفسه واعترف بحماقته وقرر ان يرجع الى ابيه. وأبوه كان ينتظره واستقبله بحرارة.

داود الملك والنبي عبر على هذه الحقيقة في أحد مزاميره فقال: **أَجِنِّي مُسْرِعًا يَا رَبُّ. وَهَنَتْ رُوحِي فَلَا تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي لِئَلَّا أَصِيرَ كَالْمُنْحَدِرِينَ إِلَى الْقَبْرِ. عَرَفَنِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَسْلُكُهَا لِأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي.** ثم يقول: **عَلَّمَنِي أَنْ أَعْمَلَ مَا يُرْضِيكَ لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهِي وَلِيَهْدِنِي رُوحَكَ الصَّالِحَ إِلَى أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ. كل من يصلي بهذا الروح فإن الرب رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. لَا يُحَاكِمُ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَحْقُدُ إِلَى الدَّهْرِ. لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثَامِنَا. لِأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْأَرْضِ قُوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ. كَبُعدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعْصِيَانَا. آمين.**

قلت: كيف الله المحب الذي كان يعلن خلاصه يقول الان أنه جعل بعض الناس لا يؤمنون؟ هل الله الذي بشرنا به يسوع المسيح هو الذي جعله مستحيل على ناس ألا يؤمنوا به؟ في الواقع اللامبالاة تجعل وكأن الله لم يتكلم البتة. الرسالة التي كانت للخير ولتغيير القلوب أصبحت مصيبة لهم. جاء في سفر الرؤيا آخر الكتب المقدسة: **فَمَنْ كَانَ يَظْلِمُ فَلْيَظْلِمِ بَعْدُ وَمَنْ كَانَ نَجِسًا فَلْيَتَنَجَّسْ بَعْدُ وَمَنْ هُوَ بَارٌّ فَلْيَتَبَرَّرْ بَعْدُ وَمَنْ هُوَ مُقَدَّسٌ فَلْيَتَقَدَّسْ بَعْدُ لِأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ وَأَنَّ الرَّبَّ آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِهِ مَعَهُ لِيُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ.** السماع لكلمة الله بقلب مبرد وروح معاكسة تزيد على صلابة القلب. فمن المسؤول في التالي؟

الاعتقاد الشائع بأن الله وراء كل ما يحدث للإنسان ومنه يأتي الخير والشر على السواء هو في الحقيقة سخيّف وخداع. يقول الكتاب المقدس: هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ نَبْعاً وَاحِداً يُعْطِي مَاءً عَذْباً وَمَاءً مُرّاً مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ؟ أَمْ هَلْ يُمَكِّنُ، يَا إِخْوَتِي، أَنْ تُثْمِرَ التَّيْنَةُ زَيْتُوناً أَوْ الْكَرْمَةُ تِيناً؟ كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْطِيَ النَّبْعُ الْمَالِحُ مَاءً عَذْباً. وهم يقولون: هذا ما كتبه الله علي. هذا مكتوب لا يمكن تغييره. هذه أفكار اليهود والعرب الى اليوم. فهم يعتقدوا أن الكفر والعصيان هم من قصد الله وهم يصدقون أن الله يرضى بهلاك الاشرار. وهذه خرافات ووهم. وإلا فالمسئول عن الكفر والتعصب يكون الله أولاً. وهذا غير معقول، كيف الله المحب يقدر يكون هو المسئول على الكفر والتعصب والقساوة. حاشا. الله يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبَلُونَ لِأَنَّهُ يُوجِدُ إِلَهًا وَاحِدًا وَوَسِيطًا وَاحِدًا بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بَدَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ.

أكيد أن في حكمته وقوته الرب يستخدم حتى كفر الناس ليجعل آخرين يؤمنون به بالحق. هكذا رآه الرسول بولس حول اليهود فقال في رسالته الى روما: وَالْوَأَقُعُ أَنَّهُ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْمَاضِي غَيْرَ مُطِيعِينَ لِلَّهِ وَلَكِنُّكُمْ الْآنَ نَلْتُمُ الرَّحْمَةَ مِنْ جَرَاءِ عَدَمِ طَاعَتِهِمْ هُمْ، فَكَذَلِكَ الْآنَ هُمْ غَيْرُ مُطِيعِينَ لِلَّهِ لِيَنَالُوا هُمْ أَيْضاً الرَّحْمَةَ مِنْ جَرَاءِ الرَّحْمَةِ الَّتِي نَلْتُمُوهَا أَنْتُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ حَبَسَ الْجَمِيعَ مَعاً فِي عَدَمِ الطَّاعَةِ لِكَيْ يَرْحَمَهُمْ جَمِيعاً. من الواضح أن من يقسي قلبه لدعوة يسوع فهو يبتعد أكثر عن الله الأب وهو يصبح بلا رافة ولا حنوّ وذو قلب صلب ويكون هو المسئول الوحيد على مصيره.

والايمان المختبئ ما يكفي للحصول على السلام مع الله والغفران والفرح والضمان والخلاص. في أيام يسوع، أشخاص أصحاب السلطة كانوا يؤمنون به، لكنهم ما كانوا يعترفون به أمام الناس خوفاً من فقد وظائفهم وسمعتهم. ويقول الرب يسوع في إنجيل متى: كُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي أَمَامَ النَّاسِ، أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، وَكُلُّ مَنْ يُنْكِرُنِي أَمَامَ النَّاسِ، أَنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.

خبر الانجيل هو مفرح للبسطاء. أما الدينيون وأصحاب المناصب فهم مكتفين بما لهم وهذه هي مكافأتهم. في الواقع الإيمان الذي يختبئ ليس إيماناً؛ وكذلك الإيمان بدون أعمال فهو إيمان ميت.

من يريد أن يرضي الناس لا يستطيع أن يرضي الله. ونحن نقول مع بطرس: إِلَى مَنْ نَذْهَبُ يَا رَبُّ وَعِنْدَكَ كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، نَحْنُ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ قُدُّوسُ اللَّهِ. آمِينَ. النَّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. آمِينَ.